حول امكـان قيـام دولة يهودية في فلسطين بجهد بريطاني ولمصالح بريطانية[١٥]، غير ان الطموح البـريـطاني لم يكتب له النجاح آنذاك، بسبب معارضة فرنسا الشديدة للموضوع . لكن تطلعات بالمرستن بقيت قاعدة أساسية ثابتة في مستقبل توجهات القادة البريطانيين من بعده.

ولدى شروع المهندس الفرنسي، فرديناند دليسبس، بشق قناة السويس سنة ١٨٥٤، تجددت مخاوف بريطانيا من تغلغل النفوذ الفرنسي في مصر، الامر الذي حملها، في النهاية، على احتلال مصر في العام ١٨٨٢. وبذلك «انتقل المركز الرئيسي لمصالح الاستعمار البريطانية في الشرق الادنى من القسطنطينية الى القاهرة»[١٦].

بعد احتلال مصر، مضت بريطانيا قدماً في ما ارساه بالمرستن من توجهات. وفي هذا الصدد، دعا رئيس وزراء بريطانيا، لورانس اليفانت، الى الاسراع بتحقيق الاستيطان اليهودي في فلسطين، لأن في ذلك منافع جمة لبريطانيا[١٧]. وحسب حاييم وايزمان، فانه «لو لم تكن الحركة الصهيونية موجودة، لكانت بريطانيا سوف تخلقها، لأن لها مصلحة بوجودها». فـ «الاستعمار البريطاني حلم ان يكون الوطن القومي اليهودي منطقة مستقرة موالية للاستعمار في وسط بحر عربي هائج»[١٨].

ومن العـوامـل التي ساعـدت، ايضاً، على مؤازرة التوجه السياسي الغربي، العامل الديني. فـ «منذ عهد كروميل فصاعداً، اصبح كل حادث آتٍ لاهتمام بريطانيا بفلسطين يعتمد على التوأمين التاليين: «باعث الربح والكسب، سواء كان الربح تجارياً أم عسكرياً أم امبريالياً، والباعث الديني المتـوارث عن الكتاب المقدس. وفي غياب هذين الباعثين لم يحدث شيء، كما كانت الحال في القرن الثامن عشر، حيث يتميز المناخ الديني بالبرودة»[٢٠].

وبـذلك نجـد ان العامل الديني عزز الدعوة الصهيونية بين انجيليي بريطانيا بسبب انتشار الاعتقـاد المغلوط بمقولة «الشعب المختار» واسطورة «ارض الميعاد» وارتباط مجيء المسيح بعودة اليهود الى فلسطين. ولقد راجت هذه الخرافات على يد «البيورتانيين» بشكل حاد في عهد كروميل، كما نشطت الجمعيات التبشيرية الانجيلية في نشرها، منذ مطلع القرن التاسع عشر، وكان اشهرها «جمعية التوراة» (١٨٠٢)، و «جمعية فلسطين» (١٨٠٥)، و «جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود» (١٨٢٥). «وقـد تحـدث افـرادها عن واجب بريطانيا الخاص بهذا الأمر، وحاولوا تفسير الحروب الصليبيـة كمقدمة لهذه المهمة. وبلغ الهوس ببعضهم حد الزعم ان الشعب البريطاني من سلالة الاسباط اليهودية الضائعة في التاريخ. وكانت المدارس تعنى بالتاريخ العبري، عناية خاصة، حتى قال لويد جورج، في تعقيب له على محاضرة، في ايار (مايو) ١٩٢٥: « لقد علمت تاريخ اليهود اكثر بكثير من تاريخ بلادي. يمكنني أن اسمّي كل ملوك اليهود، ولكنني اشك اذا كنت استطيع ان اسمي نصف دزينة من ملوك انجلترا»[٢١].

انـه لمن الثابت ان الصهيونية الهرتسلية وجدت مناخاً سياسياً مناسباً، منبعثاً من المصالح الامبريالية الغربية، ومناخاً دينياً قائماً على التفسير الحرفي الجامد للتوراة في الاوساط المسيحية، خاصة البيورتانيين في انكلترا؛ وقد اكد ذلك اكثر من كاتب يهودي. فالمؤرخ اليهودي ليوسيان وولف يذكـر في كتابه «ملاحظات حول التاريخ الدبلوماسي للمسألة اليهودية» ما مفاده «ان معظم الدعاة الصهيونيين البارزين حتى زمن هرتسل، كانوا من المسيحيين وليسوا من اليهود»[٢٢].

ويؤكد هذه الحقيقة فرانس كوبلر الصهيوني، بقوله: «يصبح النظر الى انشاء دولة اسرائيل بانه اعـظم المنجزات الجماعية للشعب اليهودي في تاريخ الدياسبورا، غير انه يوجد عنصر غير يهودي